المشهد الأمني- العسكري: «النووي الإيراني» يتصدر الأولويات وعودة المخاوف من «الخطر الفلسطيني»

فادي نحاس

تحت المجهر

■ الملف النووي الإيراني يتصدر الاهتمامات الأمنية الإسرائيلية ■ إسرائيل تتخوف من إطالة فترة المفاوضات مع إيران ومن كسبها للوقت. ■ القضية الفلسطينية و «الدولة الواحدة» يعودان ليشكلا مصدر خطر من وجهة نظر إسرائيل ■ استمرار إسرائيل في تعميق الانقسام الفلسطيني وتصعيد عملها العسكري في الضفة الغربية ■ اتفاق إسرائيل- لبنان على الحدود المائية يحمل أبعادًا أمنية ■ حتى الآن، لا قيود روسية على العمل العسكري الإسرائيلي في سورية.

القدس: في مواجهة محاولات الإخلاء في الشيخ جراح، ١٣ كانون الثاني ٢٠٢٣. (إ.ب.أ)

الملخص التنفيذي

الملف النووي الإيراني يشهد انتقالًا في توصيفه من خطر وجودي إلى خطر إستراتيجي، مع توقعات بعدم اندلاع حرب خلال العام ٢٠٢٣ على الرغم من التهديدات الإسرائيلية والتلويح المستمر بالخيار العسكري.

مصدر القلق الحقيقي لدى إسرائيل في المرحلة الراهنة، هو حالة المراوحة في المفاوضات، حيث ترى أن وضع إيران الحالي هو أفضل الاحتمالات، إذ يسمح لها بمواصلة التقدم في برنامجها النووي، وكسب الوقت لصالحها.

عودة الفرضية القائلة إن القضية الفلسطينية هي الأخطر على إسرائيل التي تخشى الوصول إلى «واقع دولة واحدة»، وذلك على الرغم من تراجع أهمية الملف الفلسطيني وفقدانه مركزيته في السنوات الماضية.

تستمر إسرائيل في السعي لتعميق الانقسام الفلسطيني، وإدارة الصراع من خلال إدارة الظهر للسلطة الفلسطينية وتصعيد العمل العسكري في الضفة الغربية من جهة، ومن جهة أخرى السعي لبقاء حماس ضعيفة، بما يمكن من إرجاء مواجهة في قطاع غزة قدر الإمكان.

يؤسس اتفاق ترسيم الحدود البحرية بين لبنان وإسرائيل لنموذج جديد في العلاقات بينهما على الرغم من حالة العداء والحرب، ويوحي بأن إسرائيل لم تستطع أن تجعل نفسها القوة الوحيدة التي تملك قرار احتكار تنفيذ مشاريع الغاز في شرق حوض البحر المتوسط.

لا قيود روسية على عمليات الجيش الإسرائيلي في سورية، لكن لا شك من تأثير الحرب الروسية في أوكرانيا على الحسابات الأمنية الإسرائيلية، وما قد ينجم عنها من تداعيات من شأنها تقييد العمليات الجوية في لبنان وسورية.

مقدمة

نستعرض في هذا الفصل أهم القضايا التي تتصدر المشهد الأمني والعسكري الإسرائيلي في العام ٢٠٢٢، والقراءات الإستراتيجية للتطورات للعام ٢٠٢٣. يتوزع الفصل على أربعة أجزاء. يستعرض اولًا، تقييم العوامل التي أثرت على البيئة الإستراتيجية لإسرائيل بحسب التقديرات الإستراتيجية والأمنية الإسرائيلية. ثانيًا: مستجدات الملف النووي الإيراني في ظل تعثر الاتفاق النووي المرتقب. ثالثًا: مستجدات الجهة الشمالية – سورية وحزب الله. رابعًا: التقديرات الأمنية الإسرائيلية للمشهد الفلسطيني.

أولاً: البيئة الإستراتيجية لإسرائيل - التقديرات والتحديات

تشير التقديرات الأمنية والإستراتيجية المختلفة إلى وجود مجموعة من التحديات التي ترتبط بالتطورات الدولية والملف الإيراني والقضية الفلسطينية والتي سيكون على إسرائيل التعامل معها خلال العام ٢٠٢٣. ووفق تقديرات شعبة الاستخبارات العسكرية لعام ٢٠٢٣.[١] يأتي على رأس ترتيب التحديات حالة عدم الاستقرار الدولي وتداعياته الإقليمية، الذي سببته بالأساس "الحرب الأوكرانية" والصراع الصيني الأميركي وانكماش الحضور الأميركي في المنطقة.[٢] واجهت إسرائيل حتى الآن هذه التحديات بحذر وعبر المناورة بين الدول العظمى وتجنب الصدام مع أي من الجهات، غير أن التقديرات تؤشر إلى أن قدرة المناورة ستتقلص في حال احتدام التوتر مع الدول العظمى، من هنا توصي التقديرات المختلفة بضرورة الحفاظ على العلاقة مع الولايات المتحدة الأميركية والابتعاد عن أي صدام معها. وتنوه في الوقت نفسه إلى ضرورة الأخذ بعين الاعتبار تزايد الاستقطاب الأميركي الداخلي وانشغال الأخيرة بقضاياها الداخلية وتزايد التوتر مع الصين، على حساب انخراطها مع الشرق الأوسط، في ظل هذه الخلفية، فإن الإدارة الأميركية أقل استعدادًا للاهتمام بمصالح إسرائيل ومخاوفها، سواء في ما يتعلق بإيران أو فلسطين.[٣]

وتشير التقديرات الإسرائيلية إلى أن الخطر النووي الإيراني يتصدر المخاطر المهددة لإسرائيل، إضافة إلى التموضع الإيراني في سورية والدعم العسكري لحزب الله والمنظمات العسكرية التي تعتبرها إسرائيل معادية.

أما على المستوى الفلسطيني فتحذر التقديرات من خطر الانزلاق للدولة الواحدة ومخاطر التدهور الميداني في اليوم الذي يلي غياب الرئيس محمود عباس.

توصي التقديرات المختلفة بضرورة الحفاظ على العلاقة مع الولايات المتحدة الأميركية والابتعاد عن أي صدام معها. وتنوه في الوقت نفسه إلى ضرورة الأخذ بعين الاعتبار تزايد الاستقطاب الأميركي الداخلي وانشغال الأخيرة بقضاياها الداخلية وتزايد التوتر مع الصين، على حساب انخراطها مع الشرق الأوسط.

أدناه أهم التقديرات للخارطة الجيو-إستراتيجية:

١. **تتوقع إسرائيل استمرار حالة الهدوء على الحدود الشمالية في العام ٢٠٢٣** وتستبعد اندلاع حرب بسبب ميزان الردع المتبادل القائم. في المقابل، فإن القضية الأساسية التي ستستمر في مواجهة إسرائيل خلال ٢٠٢٣ هي التموضع الإيراني في سورية وبرنامج الصواريخ الدقيقة الذي تقوده طهران في لبنان والمنطقة بحسب ادعاءات إسرائيل. حتى الآن، كانت الإستراتيجية التي تتبناها إسرائيل لمواجهة القضايا الأمنية والتحديات على الجبهات المختلفة عامة ولاحتواء التموضع الإيراني في سورية خاصة هي "المعركة بين حربين"، لكن تقديراتها ترى أن هذه الإستراتيجية لا تقدم ردًا كاملًا على التحديات خاصة على التهديد المتزايد لمشروع الصواريخ الباليستية الدقيقة في لبنان التي أصبحت أكثر دقة ونجاعة.[٤] وحسب التقديرات الإسرائيلية، فإن حزب الله يحتفظ بموقعه المركزي كتهديدٍ إستراتيجي، وتدعي أنه يمتلك ترسانة صاروخية كبيرة، ومن ورائها دعم إيراني غير محدود. وأنه يدير شبكة واسعة من الأنفاق لإخفاء قواته وقاذفات الصواريخ.[٥] ما زالت التقديرات الإستراتيجية تشير إلى الوضع السوري على أنه "حرب اهلية" من دون حسم في المدى المنظور، ولا بديل، حسب التقديرات الإسرائيلية، عن الأسد في سورية، بل عملية "تعويم" الأسد مستمرة.[٦] في هذا السياق، تحافظ إسرائيل على التنسيق الإستراتيجي مع روسيا، وتمتنع في سبيل ذلك عن اتخاذ موقف واضح من الأزمة الأوكرانية، وتناور بين المواقف المختلفة في الساحة الدولية من أجل عدم المواجهة مع روسيا، ومن الواضح أن روسيا تغض الطرف عن عمليات الجيش الإسرائيلي الهجومية في سورية، طالما أنها ترتكز ضد بناء قدرات إيران وحلفائها في سورية.[٧] من المهم الإشارة هنا إلى أن تغير الحكومة الإسرائيلية وعودة نتنياهو الذي تربطه علاقة جيدة مع بوتين يمكن أن يسهم في الدفع باتجاه الابتعاد عن اتخاذ مواقف واضحة ناحية دعم الموقف الأميركي، الأمر الذي قد يدفع إلى توتير العلاقة مع الإدارة الأميركية.

> يحتفظ حزب الله بموقعه المركزي كتهديدٍ إستراتيجي، وفق التقديرات الإسرائيلية التي تدعي أنه يمتلك ترسانة صاروخية كبيرة، ومن ورائها دعم إيراني غير محدود. وأنه يدير شبكة واسعة من الأنفاق لإخفاء قواته وقاذفات الصواريخ.

> ما زالت التقديرات الإستراتيجية تشير إلى الوضع السوري على أنه "حرب اهلية" من دون حسم في المدى المنظور، ولا بديل، وفقها، عن الأسد في سورية، بل عملية "تعويم" الأسد مستمرة.

٢. **وفي ما يتعلق بالملف النووي الإيراني** – نشهد انتقالًا في توصيفه من خطر وجودي، إلى خطر إستراتيجي، وتزايد قبول فكرة بناء خيار عسكري موثوق به لمنع إيران من امتلاك سلاح نووي،

ويفضل أن يكون بالتنسيق مع الولايات المتحدة، في ظل عدم إبرام اتفاق نووي جديد.[٨] وفق التقديرات الإستراتيجية، لا يتوقع اشتعال حرب خلال العام الجاري على الرغم من التهديدات والتلويح المستمر بالخيار العسكري، في المقابل تدعو التقديرات إلى عدم التعويل على تغيير النظام الإيراني في المرحلة الراهنة، بسبب الاحتجاجات الأخيرة التي لا ترى أنها تصل إلى مرحلة تهدد وجود النظام الإيراني، وإن كان تكرار الاحتجاجات يراكم الغضب والاحتقان في المجتمع الإيراني.[٩]

٣. **العلاقة مع مصر والأردن:** تقيم التقديرات الإسرائيلية العلاقات الثنائية مع مصر في عهد الرئيس عبد الفتاح السيسي بأنها علاقة وثيقة. وتشير التقارير إلى مؤشرين مهمين على مستوى التنسيق الأمني، وهما قيام مصر بدور الوسيط مع الفلسطينيين، والتفاهمات والاتفاقيات بخصوص الغاز التي تضمنت الحفاظ على أمن الطاقة لجميع الأطراف، وحماية أمن الغاز الإسرائيلي تمهيدًا لنقله إلى أوروبا. في ما يتعلق بالعلاقة مع الأردن، فقد شهدت العلاقات انفراجًا خلال فترة حكومة التغيير بعد سنوات من التوتر الشديد مع حكومة نتنياهو الذي يمكن بعودته – وفي ظل تركيبة حكومته المتطرفة – أن يعود التوتر للعلاقة من جديد خاصة في ظل المخاوف من الخطوات التي يمكن أن تمس الوضع في باحات الأقصى.

٤. **تثني التقارير الإستراتيجية على الاستجابة لخطوات التقارب من جانب تركيا وإعادة ترميم العلاقات الدبلوماسية واستئنافها**، كون تركيا دولة مهمة في حلف شمال الأطلسي. وعلى الرغم من الإشكالية في سياستها الإقليمية وتصريحاتها العلنية المعادية لسياسات إسرائيل، فإن تركيا لا تشكل تهديدًا عسكريًا حقيقيًا، وتربطها مع إسرائيل علاقات اقتصادية واسعة. بنظرة واسعة، تحسين العلاقات معها سيعزز مكانة إسرائيل الإستراتيجية وقيمتها في المنطقة.[١٠]

تثني التقارير الإستراتيجية على الاستجابة لخطوات التقارب من جانب تركيا وإعادة ترميم العلاقات الدبلوماسية واستئنافها.

٥. **مخاوف من الطائرات بدون طيار الهجومية:** في سياق الإستراتيجية العسكرية، تشير التقارير إلى فاعلية الطائرات بدون طيار، بما في ذلك الطائرات بدون طيار الهجومية من جميع الأنواع، والأبرز تحولها من وسائل حصرية في أيدي دول محدودة إلى وسائل شائعة جدًا أيضًا في أيدي الدول والمنظمات غير الحكومية المعادية لإسرائيل خاصة إيران وحزب الله. وفق التقارير، في ضوء التهديدات المستقبلية لإسرائيل، من الضروري أن تصوغ إسرائيل مفهومًا شاملًا للتعامل مع التهديد المتنامي للطائرات بدون طيار. على المستوى الإستراتيجي، فإن إسرائيل ملزمة بالاستمرار في تطوير التقنيات المتقدمة في مواجهة تهديد الطائرات بدون طيار، لتعميق الجهود الاستخباراتية في هذا السياق وتوسيع التعاون الدولي.

٦. **القضية الفلسطينية تعود لتصدر المخاطر على إسرائيل عودة الفرضية القائلة إن القضية الفلسطينية** هي الأخطر على إسرائيل، وذلك على الرغم من تراجع أهمية الملف الفلسطيني ومركزيته في السنوات الماضية. هناك قلق حقيقي لدى مراكز الأبحاث من الانزلاق لخطر الدولة الواحدة أو ثنائية القومية وتزايد القلق من انهيار السلطة الفلسطينية، والانزلاق إلى "انتفاضة ثالثة".[١١] هناك إجماع سياسي وأمني إسرائيلي بأنّ حركة حماس ستبقى القوة الحاكمة والضابطة في قطاع غزة، وأنه لا توجد نيّة لدى إسرائيل لمحاولة تفكيكها واستبدالها بقيادة أخرى أو السيطرة العسكرية على القطاع، ما دامت مردوعة، وما دام بقاؤها يساهم في ترسخ الانقسام الفلسطيني.

عودة الفرضية القائلة إن القضية الفلسطينية هي الأخطر على إسرائيل، وذلك على الرغم من تراجع أهمية الملف الفلسطيني ومركزيته في السنوات الماضية.

ثانيًا: مستجدات "الملف النووي الإيراني" من المنظور الإسرائيلي

وفقًا لتقديرات "معهد الأمن القومي" الإسرائيلي، فإن إيران ليست دولة "على عتبة نووية" بعد، لكنها ماضية بثبات وإصرار نحو تحولها إلى قوة نووية، وهي بحاجة إلى مدة من عام ونصف إلى عامين لتطوير سلاح نووي، وما ينقص طهران للتحول إلى دولة على العتبة النووية هو تطوير "منظومة أسلحة مناسبة"، والقدرة على تحويل اليورانيوم المخصب إلى رؤوس نووية قادرة على تنفيذ مهمات عملياتي، هذا خلافًا لتقديرات إسرائيلية أخرى تزعم أن إيران أصبحت "دولة عتبة نووية".[١٢]

تدعي التقديرات بأن إيران تواصل إستراتيجيتها النووية المتمثلة باتباع مسار آمن لإنتاج سلاح نووي وليس بأسرع وقت ممكن، والبحث عن فرصة حدوث أزمة عالمية يتركز فيها اهتمام العالم على صراعات أخرى كالأزمة الأوكرانية، للمضي في تطوير سريع وآمن للسلاح النووي. فلا يوجد تغيير في الإستراتيجية الإيرانية، بل باتت إيران أكثر تشددًا في مواقفها.

باعتقادنا، إن إسرائيل لا تتخوف، في المرحلة الحالية، من إنجازات إيران النووية، بل من قدرتها على الإنجاز. وتعتبر أي اعتراف من المجتمع الدولي بحقها في تخصيب اليورانيوم لأغراض سلمية، سيمكنها من اكتساب الخبرات الحيوية لصناعة القنبلة النووية، لأن توجه إيران ينصب بالأساس نحو برنامج نووي عسكري.

في سياق متصل، تشير التقارير الإسرائيلية إلى أن انتخاب إبراهيم رئيسي لرئاسة إيران جعل من المحافظين أصحاب سيطرة كاملة على كل مقاليد الحكم، خاصة أن رئيسي يعتبر من الشخصيات المقربة، وصاحب تأثير كبير على المرشد الأعلى، وتحكمه في صناعة القرار سيزيد من تشدد إيران في ملفات كثيرة على رأسها ملف المفاوضات النووي.

٢,١ الاتفاق النووي إلى أين؟

بعد عودة الديمقراطيين إلى البيت الأبيض، وافق الرئيس جو بايدن، على العودة إلى الاتفاق النووي المنجز عام ٢٠١٥ دون تعديل جوهري، بل أبدى مرونة تجاه طلب الإيرانيين التعويض نتيجة الضرر الذي لحق بإيران بسبب إلغاء الاتفاقية، لكن الطلب الإيراني تقديم ضمانات بعدم إلغاء أي رئيس أميركي لاحق التعامل بها، أوقف العملية، لأن إدارة بايدن لا تمتلك تحقيق هذا الطل. كذلك أبدى بايدن تصلبًا تجاه مطلب إيراني سابق شكل العقبة الحقيقية التي حالت دون إنجاز الاتفاق، وهو طلب إيران بأن تغلق الوكالة الدولية للطاقة الذرية الملفات المفتوحة بشأن البرنامج النووي الإيراني بعد توقيع الاتفاقية.[١٣]

في خضم "الحرب الأوكرانية"، زادت إيران من نشاطها العسكري بتوريد أسلحة ومعدات حربية إلى روسيا، الأمر الذي رفضته أميركا، لكنه عزز التقارب الإيراني الروسي، وزاد الحذر الأميركي في التعامل مع كل ما يتعلق بإيران، باعتبارها الحليف الأقرب لموسكو، وتشكل أحد مصادر التسلح التي تساعد روسيا في إطالة حربها، خصوصًا الطائرات الهجومية دون طيار التي تنشط في الأجواء الأوكرانية. في هذه الظروف التي تتباعد فيها المواقف، تلجأ إيران إلى سياسة تقليدية، هي إظهار المزيد من التشدد، فيبدأ نشاطها النووي بالتسارع مع تسليط أكبر ضوء عليه.

إسرائيل غير راضية عن الاتفاق النووي المرتقب، وقلقة للغاية بشأن الاستعداد لرفع العقوبات والسماح بتدفق المليارات إلى إيران مقابل قيود غير كافية على البرنامج النووي. وهناك تناغم داخل الأوساط السياسية الإسرائيلية حول موقف معارض علني للاتفاق دون توتر العلاقة مع الولايات المتحدة، مسوغه موقفها بالمقولة التقليدية بأن إسرائيل "ستحتفظ بحقها في العمل وستدافع عن نفسها بقواها الذاتية".

إلا أن القلق الحقيقي لدى إسرائيل في المرحلة الراهنة، هو حالة المراوحة في المفاوضات وحسم الموقف من مسألة الاتفاق، حيث ترى إسرائيل أن الوضع الحالي هو الأفضل لإيران، إذ يسمح لها بمواصلة التقدم في برنامجها النووي دون ضغوط جديدة عليها، خاصة في ظل "الحرب الأوكرانية" والتوتر القائم مع الصين.[١٤]

أما جديد التقارير العسكرية الإسرائيلية، هو أن القيادة العليا في الجهاز الأمني باتت تقريبًا الآن متماشية مع موقف رئيس (جهاز المخابرات الخارجية) الموساد، ديفيد برنياع، الذي يرى في الاتفاق كارثة إستراتيجية. وأن إسرائيل لا يمكنها أن تكون شريكة في اتفاق سيء، تنتهي صلاحيته قريبًا ولا يوجد فيه رد على مآخذ كانت موجودة في الاتفاق الأصلي مع الدول العظمى ولتلك التي اكتشفت منذئذ. خلافًا للموقف السابق لقيادة الجيش الإسرائيلي التي دعت للتوصل إلى اتفاق نووي جديد بين إيران والقوى الكبرى من خلال المفاوضات الجارية في فيينا.

ما زالت أدوات مواجهة المشروع النووي الإيراني في العام ٢٠٢٣ تقتصر على العمليات التي شنتها إسرائيل في الداخل الإيراني على امتداد العام ٢٠٢٢، حيث استهدفت خلالها منشآت إيران النووية

وبرنامجها الصاروخي ومصانع طائراتها المسيّرة وشخصيات مرتبطة بالبرنامج النووي وضباطًا في الحرس الثوري ما أدى إلى إضعاف هيبة الحكومة التي حاولت الرد عبر استهداف مناطق في إقليم كردستان العراق الذي تنظُر إليه حكومة رئيسي كمركز عمليات متقدم يستخدمه خصوم إيران لاستهدافها. وفي المقابل، مارست إيران ضغوطًا مصحوبة بتهديدات تجاه دول الخليج على خلفية التعاون في مجال الدفاع الجوي مع إسرائيل.[١٥]

٢,٢ هل لا يزال الخيار العسكري الإسرائيلي حاضرًا؟

يتزامن النقاش حول اتفاق نووي جديد مع الترويج الإعلامي الإسرائيلي لمسألة توجيه إسرائيل ضربة عسكرية ضد المنشآت النووي الإيرانية، مدعومة بتصريحات علنية لمصادر سياسية وعسكرية، خاصة مع تشكيل حكومة نتنياهو الجديدة التي أبرز شعاراتها مواجهة المشروع النووي الإيراني. في هذا السياق، يبقى التلويح بضربة عسكرية كبيرة مقتصرًا على تصريحات إعلامية حول نيات إسرائيل التزود بمقاتلات جديدة لضرب المشروع النووي الإيراني، مثل مقاتلات "F15" حديثة، وتكثيف بناء بنية صيانة وتدريبات متطورة لمقاتلات "F35" في قاعدتي نباطيم وتل نوف، لصيانتها وتحسين جهوزيتها للعمليات العسكرية.

لكن وفق التقارير الإستراتيجية الإسرائيلية، فإن إسرائيل موجودة في كل الحالات في وضع حرج ومربك إستراتيجيًا. ومن المستبعد أن تقوم إسرائيل بعملية عسكرية ضد إيران ما دامت الولايات المتحدة تعول على نفعية المسار الدبلوماسي وإبرام اتفاق معها. وعليه، لا بد بالنسبة لإسرائيل من استمرار التنسيق مع الولايات المتحدة، من أجل بناء خطة عسكرية ضاغطة على إيران، ومنع امتلاكها السلاح النووي، والوقوف أمام محاولاتها زيادة نفوذها في المنطقة، والعمل مع الدول الغربية وبعض الدول العربية لردع إيران. في الأثناء، تحول الملف النووي الإيراني إلى ورقة ضغط إسرائيلية تسعى عبرها لابتزاز الولايات المتحدة لتحقيق وتحصيل دعم سياسي وعسكري ومالي إضافي في كل ما يتعلق بسياسات الاحتلال في الأراضي الفلسطينية، وتعزيز التفوق العسكري الإقليمي، مقابل تسليم إسرائيل بالاتفاق مستقبلًا، وتخفيف حدّة الهجوم ضده.

ثالثًا: القراءة الإستراتيجية للمشهد الأمني في الشمال

ما زالت التقديرات الإستراتيجية الإسرائيلية تشير إلى الوضع السوري على أنه "حرب أهلية" من دون حسم نهائي في المنظور القريب، وتشكك بمدى استقرار النظام وعمق تعزيز مكانة الأسد الإقليمية وصورته كرئيس فاعل، فإن حكمه في سورية عمليًا جزئي ومحدود، ولا يزال اعتماده على الدعم الخارجي – روسيا وإيران – مرتفعًا والوضع الاقتصادي لبلاده آخذ في التدهور. في المقابل، تعمق الوعي لدى صناع القرار الإسرائيلي بأن نظام الأسد "موجود ليبقى"، ولا بديل عنه في سورية، بل إن عملية "تعويم" الأسد مستمرة، وقد طرأ تغيير ملحوظ في مكانته الإقليمية، الأمر الذي انعكس في تجديد الاعتراف به من قبل عدد من الدول العربية، أبرزها الإمارات، والبحرين، ومؤخرًا الأردن ومصر.[١٦]

تغيير الخطاب الإسرائيلي من النظام السوري قد يكون متأثرًا بالتحول في سياسات الدول العربية، خاصة البراغماتية منها، التي تصبو إلى تقليص النفوذ الإيراني في المنطقة، فمن وجهة نظرهم، سيقلص تطبيع العلاقات مع نظام الأسد الفراغ الذي تتغلغل عبره إيران في سورية مما يخلق حاجزًا سيتم توسيعه تدريجيًا بين النظام السوري وطهران.

٣,١ التموضع الإيراني في سورية كمعضلة إستراتيجية

يتمحور الموقف الإسرائيلي من الشأن السوري في المرحلة الراهنة، حول معضلة إستراتيجية أساسية هي "التموضع الإيراني العسكري" في سورية. وعلى الرغم من إصرار إسرائيل على تحجيم فاعلية إيران في سورية بمعزل عن المتغيرات الإقليمية والدولية، واستمرارها خلال العام ٢٠٢٢ في توجيه ضربات جوية حساسة كمحيط مطار دمشق الدولي، فإن التقديرات الإستراتيجية في إسرائيل ترجح أن التموضع الإيراني في سورية في المنظور القريب مستمر، وأن إيران لا تظهر أي نية للانسحاب، بل تسعى إلى تعميق تموضعها.

في المقابل، تواصل روسيا لعب دور مهيمن في سورية – عسكريًا ودبلوماسيًا – ومصمم على استعادة مكانة الأسد، مع تحقيق الاستقرار في البلاد وإعادة بناء الجيش السوري. تكتسب موسكو ميزة في المشاريع والاتفاقيات الاقتصادية في سورية المتعلقة بموارد النفط والغاز والفوسفات. ولا بد من الإشارة إلى أن المنافسة بين روسيا وإيران على النفوذ العسكري والاقتصادي في سورية موجودة، لكن ليس بالحدة التي تهدد العلاقات الإستراتيجية بينهما في المرحلة الراهنة.

لم يطرأ تغير على النهج الإسرائيلي في سورية، ولم تُمارس ضغوط من جانب روسيا من أجل وقف الهجمات، والتنسيق مع روسيا في سورية يعمل كالمعتاد. تدرك إسرائيل أن روسيا على الرغم من خلافها مع إيران، فإنها لن تدعم خروجها من سورية، لذلك، تسعى إلى التدخل ضد أي وجود عسكري

إيراني في سورية، ومنع إمدادات السلاح لحزب الله في لبنان، كذلك منع تواجد قوات موالية لإيران أو لحزب الله في مناطق جنوب غربي سورية المحاذية للجولان، مع مراعاة أن المصلحة الروسية تتمثل في بقاء النظام. في المقابل، تسمح روسيا لإسرائيل بقصف مناطق تواجد القوات الإيرانية في سورية بدون أي عائق، كما تحاول روسيا جاهدة الضغط على النظام السوري لكي يبتعد عن إيران، لأن التعاون الإيراني- السوري يهدد مستقبل الاستثمارات الروسية في سورية.

"المنافسة بين روسيا وإيران على النفوذ العسكري والاقتصادي في سورية موجودة، لكن ليس بالحدة التي تهدد العلاقات الإستراتيجية بينهما في المرحلة الراهنة".

وفق التقديرات الإسرائيلية، في العام ٢٠٢٢ هناك تراجع في حجم الضربات الجوية، الأمر لا يعود إلى تراجع التفاهمات الروسية الإسرائيلية، إنما نتيجة تراجع كبير في تهريب الأسلحة عبر سورية في أعقاب سلسلة الغارات الإسرائيلية على المطارات، وقد يكون التوتر مع حزب الله في لبنان حول منصة الغاز ("كاريش") قد أدى إلى قرار بوقف الهجمات. واللافت أن نظام الأسد، يفرض حظرًا على قيام الإيرانيين بشن هجمات ضد إسرائيل من سورية، بادعاء تقليص الاحتكاك مع إسرائيل، خاصة بعد الغارات في شمال شرق سورية ومطار دمشق.

لا تبدي إسرائيل تخوفًا ملحوظًا من التقارب الروسي – الإيراني في العام ٢٠٢٢ في ظل "الحرب الأوكرانية"، وتستمر الخلافات في الرأي بين الطرفين حول الساحة السورية بين إيران وروسيا في سياق استمرار النشاط الإسرائيلي في سورية. وفي الملخص الرسمي للاجتماع الثلاثي، الذي نشره الكرملين يوم ٢٠٢٢/٧/١٧.[١٧] لم يرد ذكر لإسرائيل أو الهجمات الإسرائيلية في سورية، على الرغم من أن القضية أثيرت في المحادثات من قبل إيران التي طالبت بوقف العمليات الإسرائيلية. وعلى الرغم من الخلاف بين الدول الثلاث، فيبدو أنها تعترف بضرورة التوصل إلى نوع من الاتفاق من أجل الحفاظ على مصالحها في سورية.[١٨]

إن المصلحة الإستراتيجية المشتركة لإيران وروسيا في المرحلة الحالية، تتجاوز الخلاف بينهما حول الشأن السوري، حيث إن لطهران مصلحة واضحة في تعزيز علاقاتها الإستراتيجية مع روسيا، ويرجع ذلك جزئيًا إلى أفكار إنشاء نظام دفاع إقليمي في الشرق الأوسط بقيادة واشنطن. يثير هذا الاحتمال قلقًا كبيرًا في طهران. من جهتها، ترى روسيا أن هذا النوع من الأنظمة الدفاعية بقيادة واشنطن يشكل تهديدًا لمصالحها الإقليمية.[١٩]

وفق تقرير "مركز دراسات الأمن القومي"، مطلوب من صانعي السياسة إعادة النظر في سياسة إسرائيل تجاه التهديد الإيراني المتمثل في ترسيخ وجودها في سورية. أولاً، يجب أن يكون مفهوماً أن طهران تعتبر سورية رصيدًا إستراتيجيًا ثمينًا، وأن الإيرانيين يتصرفون وفقًا لتخطيط طويل الأمد. بمعنى آخر، الهجمات العسكرية على الميليشيات الموالية لإيران في سورية لن تردع طهران أو تجعلها

تعيد حساب مسارها في الشأن السوري. إذا كانت إسرائيل مهتمة بالفعل بإحباط المخططات طويلة المدى للإيرانيين في سورية، فعليها القيام بعدد من التحركات السياسية التي تكمل النشاط العسكري الهجومي:[٢٠]

وتوصي التقديرات الإسرائيلية إسرائيل باتباع سياسة "العصا والجزرة" ضد دمشق، بمعنى إيصال رسائل للنظام، من خلال الروس، بأن إسرائيل تقبل سيطرة الأسد على سورية ولن تعرضه للخطر، ولكن إذا استمر الإيرانيون في التمركز في سورية، فسوف يفكرون في إلحاق الضرر بأهداف مثل تعريض استقرار النظام للخطر، علاوة على ذلك، إذا عمل الأسد على كبح جماح الإيرانيين وحزب الله في سورية، فستبذل إسرائيل جهدًا في واشنطن لرفع العقوبات المرهقة عن البلاد.

توصي التقديرات الإسرائيلية إسرائيل باتباع سياسة "العصا والجزرة" ضد دمشق، بمعنى إيصال رسائل للنظام، من خلال الروس، بأن إسرائيل تقبل سيطرة الأسد على سورية ولن تعرضه للخطر، لكن إذا استمر الإيرانيون في التمركز في سورية، فسوف يفكرون في إلحاق الضرر بأهداف، مثل تعريض استقرار النظام للخطر.

٣,٢ "الحرب الأوكرانية" ومصير التفاهمات الروسية- الإسرائيلية بخصوص العمل في سورية

وفق تقديرات إستراتيجية تتعلق بالأزمة الأوكرانية، فإن الحرب سواء استمرت أو توقفت، باتت تضع تحديات أمام النظام العالمي الذي ترسخ في العقود الثلاثة الأخيرة، منذ انهيار الاتحاد السوفييتي. يؤثر ذلك بشكل مباشر وغير مباشر، وفي المدين البعيد والقريب، على الشرق الأوسط عمومًا وإسرائيل خصوصًا.

في هذه الرحلة، يبدو واضحًا أن إسرائيل، معنية بالحفاظ على حياد في الأزمة الأوكرانية وقد تقوم بموازنة حرجة بين الطرفين.[٢١] فمن جهة، على الرغم من الإدراك بأن الولايات المتحدة تقلص تدخلها في الشرق الأوسط، تحافظ إسرائيل على علاقة إستراتيجية متينة مع الإدارة الأميركية على أنها دعامة مركزية في مفهومها الأمني. ومن الجهة الأخرى، هي معنية بالحفاظ على علاقاتها مع روسيا، التي تعمقت في السنوات الأخيرة، إلى جانب ضلوع روسي عميق في الحرب في سورية. بحسب تقرير لـ "نيويورك تايمز"، تظل روسيا عنصرًا فاعلاً مهمًا في الشرق الأوسط، لا سيما في سورية، الجار والعدو الشمالي الشرقي لإسرائيل. تعتقد الحكومة الإسرائيلية أنها لا يمكن أن تجازف بخسارة موسكو، كما تريد أن تترك لنفسها مساحة كافية للموازنة الحرجة بين الطرفين.

نجحت إسرائيل إلى حدّ ما في تجنب اتخاذ موقف فعال لجانب أوكرانيا، متمسكة بالموقف الرسمي الداعم لأوكرانيا انسجامًا مع الموقف الأميركي والاوربي، مع الحفاظ بقدر الإمكان في هذه المرحلة على قنوات الاتصال مع موسكو، من أجل الامتناع عن احتكاك عسكري في سورية. امتنعت إسرائيل عن بيع أسلحة لأوكرانيا ودول مجاورة لروسيا، خاصة أسلحة مضادة للدبابات.

وفق التقارير الإسرائيلية، مهما تطورت المواقف، ستتجنب إسرائيل أي صدام مع روسيا، ولن تقبل بالانضمام للعقوبات الغربية ولا بتزويد أوكرانيا بالسلاح، ذلك انطلاقًا من منطق السياسة الواقعية في الشرق الأوسط ممزوجًا بالخوف على يهود روسيا والخوف من تكرار الصدمات التاريخية.

في اعتقادنا، قد تتحول "الحرب الأوكرانية" إلى معضلة إستراتيجية أمام إسرائيل في حال استغلت روسيا الحلبة لكي تجسد أمام الولايات المتحدة أن بيديها رافعات لتحويل مناطق أخرى في أوروبا الشرقية إلى مناطق قابلة للاشتعال. في الفترة الأخيرة، تضع روسيا مصاعب أمام الغارات الإسرائيلية ضد التموضع الإيراني في سورية ونقل أسلحة إلى الأراضي السورية وإلى حزب الله في لبنان. ولعل الطلعات الجوية الروسية والسورية المشتركة خاصة قرب هضبة الجولان رسالة عينية لإسرائيل أن بمقدور روسيا، إذا أرادت، أن تعرقل نشاط إسرائيل ضد المحور الإيراني، مثلما يتم التعبير عنه في الأراضي السوري". وقد أفاد الإعلام الإسرائيلي مؤخرًا بأن نظام دفاع جوي روسي من طراز "S-300" أطلق صواريخ على طائرات إسرائيلية عائدة من غارات داخل سورية لأول مرة، كما استدعى الروس في الأيام الأخيرة السفير الإسرائيلي في موسكو بعد غارة جوية إسرائيلية على مطار دمشق الدولي. ويرى الكاتب أن التوترات مع إسرائيل إذا وصلت إلى نقطة تحول فقد يحمل ذلك روسيا أيضًا على منح مساحة أكبر للقوات الموالية لإيران داخل سورية.[٢٢]

بالمجمل، في المرحلة الراهنة، "لا قيود روسيّة" على عمليات الجيش الإسرائيلي في سورية، لكن لا شك من تأثير الحرب الروسية في أوكرانيا على الحسابات الأمنية الإسرائيلية، وما قد ينجم عنها من تداعيات من شأنها تقييد العمليات الجوية الإسرائيلية في لبنان وسورية وتغيير حسابات تل أبيب العسكرية، الأمر منطو أساسًا في متغيرات الموقف الإسرائيلي.

٣,٣ إسرائيل وحزب الله واتفاقية ترسيم الحدود البحرية

تشير التقديرات الإستراتيجية الإسرائيلية إلى أن الخشية من اندلاع مواجهة عسكرية فورية على الحدود الشمالية تراجعت في ضوء رسوخ توازن ميزان "الردع المتبادل" بين إسرائيل وحزب الله الذي يلجم الجانبين. وأن "منسوب الردع الإسرائيلي مرتفع" تجاه حزب الله نتيجة تورطه في الأزمة السورية، والخلل في البيئة الشعبية الداخلية الحاضنة للمقاومة، إضافة إلى الظروف الاقتصادية والسياسية الصعبة التي يشهدها لبنان في الآونة الأخيرة.[٢٣]

واللافت، أن حزب الله استطاع إخراج لبنان من دائرة "المعركة بين حربين" التي تخوضها إسرائيل ضد الجيش الإيراني وحلفائها في سورية، وفي تقليص حرية عمل سلاح الجو الإسرائيلي في الأجواء اللبنانية. وخطوة أخرى

واللافت، أن حزب الله استطاع إخراج لبنان من دائرة "المعركة بين حربين" التي تخوضها إسرائيل ضد الجيش الإيراني وحلفائها في سورية، وفي تقليص حرية عمل سلاح الجو الإسرائيلي في الأجواء اللبنانية.

في أسلوب تحدي حزب الله لإسرائيل هي إدخال الطائرات بدون طيار إلى أراضيها لجمع المعلومات الاستخباراتية والهجوم، وأيضًا في توضيح التهديد المباشر للمواقع الإستراتيجية في إسرائيل ومياهها الاقتصادية. نجاح الجيش الإسرائيلي في اكتشاف واعتراض الطائرات بدون طيار التي أطلقها حزب الله في العام ٢٠٢٢، وعدم وجود رد إسرائيلي على تسللها سيؤدي إلى المواجهة التالية، التي قد تحدث في ظل ظروف أقل ملاءمة لإسرائيل.[٢٤]

في العام ٢٠٢٢، سادت معركة للسيطرة الجوية على أجواء لبنان وشمال إسرائيل، امتدت إلى المياه الاقتصادية لإسرائيل من خلال إطلاق ثلاث طائرات بدون طيار باتجاه منصة الحفر الإسرائيلية في حقل غاز حريش. [٢٥]

٣,٤ اتفاق ترسيم الحدود البحرية

تتنازع لبنان وإسرائيل منذ عقود على منطقة بحرية غنية بالنفط والغاز تبلغ مساحتها ٨٦٠ كيلومترًا مربعًا. وفي يوم ٢٧ تشرين الثاني ٢٠٢٢، تم اتفاق ترسيم الحدود البحرية بين إسرائيل ولبنان بوساطة أميركية. [٢٦] ولعبت الظروف الإقليمية والدولية دورًا أساسيًا في تسهيل الطريق نحو بلورة هذا الاتفاق والمدى الذي بلغه، على رأسها الأولوية الغربية والأميركية المطلقة للتعامل مع حرب روسيا على أوكرانيا وتداعياتها التي من أهمها حاجة أوروبا للغاز، وهو الأمر الذي يتطلب أيضًا، على الأقل، عدم نشوب حروب أخرى قد تضر بمسار تلك الحرب، والبحث عن مصادر متعددة للغاز فضلًا عن تعزيز مصادرها وتطويرها.

إن الحافز الأساسي وراء هذا الاتفاق، هو الفوائد الاقتصادية المنتظرة من استغلال الغاز، إلى جانب الحاجة إلى تجنب صراع مسلح. فقد كانت المواجهة تبدو وشيكة خلال صيف ٢٠٢٢، عندما كانت إسرائيل تستعد للتنقيب وإنتاج الغاز في حقل كاريش، والحال أنه لم يتم بعد ترسيم الحدود البحرية اللبنانية. وقد تسبّب ذلك في تطوّر الموقف اللبناني الرسمي وإرسال حزب الله لطائرات مسيّرة غير مسلحة في سماء الحقل لتمرير رسالة للحكومة الإسرائيلية. وعليه، فإن هذا الاتفاق ما كان ليرى النور لولا خطر تصعيد مسلّح، وموقف لبنان الحاسم، والضغط الأميركي المستمر. [٢٧]

إن المسألة الشائكة الأساسية في الاتفاق هي "خط العوامات" الذي أقامته إسرائيل في البحر الأبيض المتوسط كحدود بحرية مفترضة، بعد انسحابها من لبنان في أيار ٢٠٠١، على بعد نحو ٥ كلم من رأس الناقورة. يجعل الاتفاق من هذا الخط أمرًا مقضيًا، لكنه لا يشرّعه ولا يعترف به. وفي حال نشوب توترات بين إسرائيل وحزب الله، قد تظهر هذه المسألة مجدّدًا. وعليه فإن الحدود البرية والبحرية بين لبنان وإسرائيل غير معترف بها دوليًا، ولا من أي الجانبين. كما أن الاتفاقية البحرية التي تم إبرامها غير مكتملة، لأنها لا تحلّ جميع النزاعات المتعلّقة بالحدود البحرية. وتظل أقصى نقطة شرقًا من هذا الخط الحدودي غير محددة، في غياب اتفاق ترسيم الحدود البرية بين الطرفين.

مـن الواضـح، أن مرونـة حـزب اللـه وإعلانـه موافقتـه سـلفًا علـى مـا تقـرره الدولـة اللبنانيـة بخصـوص مفاوضـات الترسـيم ونتائجهـا (التـي يلعـب دورًا حاسـمًا فـي مجرياتهـا)، كان بـلا شـك لـه الـدور الأبـرز مـن الجانـب اللبنانـي فـي تسـريع المفاوضـات لتصـل إلـى هـذه النهايـة، حيـث ربـط الحـزب سـماحه لإسـرائيل باسـتخراج الغـاز مـن كاريـش باسـتخراج لبنـان لثرواتـه، فأصبـح الاتفـاق بهـذا الاعتبـار -إسـرائيليًا- هدفًـا بذاتـه لتفـادي التصعيـد العسـكري، هـذا مـن جهـة، لاسـيما أن إسـرائيل قـد بلغـت المراحـل النهائيـة لاسـتخراج الغـاز؛ مـا سـرّع مـن وتيـرة المفاوضـات.

ممـا لا شـك بـه، أن السـمة الرئيسـة لاتفـاق ترسـيم الحـدود بـين البلديـن هـي نتـاج سـياق بالـغ الأهميـة. يفتقـر حـزب اللـه إلـى الدعـم الشـعبي الواسـع في لبنـان، ويأتـي الاتفـاق فـي ظـل أوضـاع سياسـية هشـة واقتصاديـة كارثيـة فـي البـلاد.

يبقـى الاتفـاق البحـري محـدود النطـاق، ولا ترافقـه آليـة واضحـة لتنفيـذ أو حـل النزاعـات التـي قـد تنشـأ علـى الرغـم مـن النيـات الحسـنة للأطـراف المعنيـة وضمانـات أميركيـة. ومـن الواضـح أن حـزب اللـه لـم يوقّـع عليـه وهـو ليـس جـزءًا منـه، مـا يمكّنـه مـن القـول متـى شـاء إنـه غيـر ملـزم بـه.

يعتقـد الجانـب الإسـرائيلي أن المكاسـب الحقيقيـة مـن وراء اتفـاق ترسـيم الحـدود لا تتعلـق بالجانـب الاقتصـادي فحسـب، فبالنسـبة إليـه هـذا الجانـب ثانـوي ويمكـن تقديـم تنـازلات مهمـة فيـه، وخصوصًـا مـع وفـرة حقـول الغـاز الإسـرائيلية فـي الميـاه الإقليميـة والاقتصاديـة، وسـماح الاتفـاق لـه باسـتخراج الغـاز مـن حقـل "كاريـش"، لكـن التركيـز الإسـرائيلي ينصـب علـى إمكانيـة تحقيـق المكاسـب فـي الجانبـين الأمنـي والسياسـي.[٢٨]

فـي الجانـب الأمنـي، دعمـت المؤسسـة العسـكرية والأمنيـة الإسـرائيلية الاتفـاق، كونهـا تأمـل أن يتيـح اسـتخراج الغـاز مـن حقـل "قانـا" اللبنانـي زيـادة تعقيـدات حسـابات حـزب اللـه فـي الذهـاب إلـى أي معركـة مقبلـة مـع إسـرائيل، وبالتالـي تـزداد قـوة الـردع الإسـرائيلية تجـاه حـزب اللـه، إضافـة إلـى أن الاتفـاق يخفـف مـن أعبـاء حمايـة الجيـش الإسـرائيلي لحقـول ومنصـات اسـتخراج الغـاز فـي البحـر المتوسـط، وخصوصـاً حقـل "كاريـش"، الـذي كان مـن الواضـح أن تهديـدات حـزب اللـه باسـتهدافه جديـة فعـلًا، بحسـب تقديـرات الجيـش الإسـرائيلي.

لعـب هـذا الأمـر دورًا مركزيًـا فـي دعـم الجيـش لتوقيـع الاتفـاق، علـى الرغـم مـن كل الصعوبـات السياسـية الداخليـة الإسـرائيلية، إذ كتـب العميـد احتيـاط فـي الجيـش الإسـرائيلي، يوسـي كوفرفاسـر، أن إسـرائيل ليـس لديهـا رد جيـد علـى تهديـدات نصـر اللـه. لذلـك، تفضـل التنـازل عـن منطقـة مـن البحـر أعلنتهـا مياهًـا إقليميـة لهـا، أي منطقـة سـيادية لهـا، وبعـض الميـاه الاقتصاديـة التـي ادعـت حيازتهـا الحصريـة فيهـا، مـن أجـل تَجنُـبِ الصـراع مـع حـزب اللـه والسـماح بالعمـل الهـادئ فـي حقـل "كاريـش".

فـي المفهـوم الإسـتراتيجي، يعتبـر الاتفـاق فرصـة إذا لـم يتمسـك بهـا الإسـرائيلي فإنهـا قـد لا تتكـرر، وفـي الوقـت نفسـه قـد تؤسـس لنمـوذج جديـد فـي العلاقـة بـين إسـرائيل وحـزب اللـه، نمـوذج يسـمح بالتفـاوض وعقـد اتفاقـات تنطـوي علـى اعتـراف ضمنـي بإسـرائيل، حتـى ولـو فـي ظـل اسـتمرار حالـة العـداء وعـدم الاعتـراف الرسـمي.[٢٩]

بالمجمل، يؤسس اتفاق ترسيم الحدود البحرية بين لبنان وإسرائيل لنموذج جديد في العلاقات بينهما على الرغم من حالة العداء والحرب، وتحديدًا بين حزب الله وإسرائيل. أهم دلالة يشير إليها الاتفاق، عدم استحالة تحقيق اتفاقات إسرائيلية أخرى مع لبنان قد تنتهي، اتفاقًا أو عمليًا، بهدنة طويلة بين البلدين حتى في ظل استمرار سلاح حزب الله، ودون أي من مظاهر التطبيع.

يؤسس اتفاق ترسيم الحدود البحرية بين لبنان وإسرائيل لنموذج جديد في العلاقات بينهما على الرغم من حالة العداء والحرب، وتحديدًا بين حزب الله وإسرائيل.

لا يمكن لإسرائيل أن تتراجع عن الاتفاق على الرغم من تصريحات رئيس الحكومة نتنياهو ضد الاتفاق الذي صاغته الولايات المتحدة. هناك عاملان يشيران إلى استقرار الاتفاقية على الأقل على المدى المتوسط. الأول هو عزوف إسرائيل وحزب الله عن الدخول في مواجهة مفتوحة. وهكذا تشكّل اتفاقية ترسيم الحدود البحرية هذه امتدادًا لمنطق الانسحاب الذي وضعه الطرفان بعد حرب تموز ٢٠٠٦. أما العامل الثاني، فهو الفوائد الاقتصادية التي سيجنيها كل جانب، إذ إن إسرائيل بحاجة إلى الغاز لتقليل اعتمادها على الطاقة، ولبنان يمرّ بأزمة اقتصادية خطيرة ويحتاج إلى هذا الاتفاق للحصول على المساعدات الأجنبية والاستثمار.[٣٠]

من وجهة نظرنا، أهم عبرة من وراء اتفاق ترسيم الحدود، أن إسرائيل لم تستطع أن تجعل نفسها القوة الوحيدة التي تملك قرار احتكار تنفيذ مشاريع الغاز في شرق حوض البحر المتوسط، وأنها غير قادرة على التحكم في مقدرات المنطقة، إلى حدّ الإقرار الواضح من الولايات المتحدة وفرنسا بأن هناك قوى إقليمية غير إسرائيل في المنطقة لا يمكن تمرير أي مشروع اقتصادي إقليمي من دون أن يحسب حسابها.

أهم عبرة من وراء اتفاق ترسيم الحدود، أن إسرائيل لم تستطع أن تجعل نفسها القوة الوحيدة التي تملك قرار احتكار تنفيذ مشاريع الغاز في شرق حوض البحر المتوسط، وأنها غير قادرة على التحكم في مقدرات المنطقة.

رابعاً: عودة الفرضية التقليدية أن القضية الفلسطينية هي الأخطر إستراتيجيًا على إسرائيل

تشير القراءات الإستراتيجية المختلفة إلى أن الهدف الإستراتيجي الذي تبنته إسرائيل في العقد المنصرم وفي ظل حكومات نتنياهو المتتالية، مقابل القضية الفلسطينية هو "كسب الوقت"، وتحقيق الهدوء الميداني قدر الإمكان من دون تحديد الهدف الذي تريد تحقيقه إسرائيل إستراتيجيًا وإبقاءه ضبابيًا.[٣١]

تعتبر مراكز الأبحاث التي تضع تقديرات إستراتيجية ذات رؤيا سياسية بعيدة المدى، أن الواقع الذي نتج عن انعدام تسوية أعاد القضية الفلسطينية لتصدر المخاطر الإستراتيجية على مستقبل إسرائيل.

التصدي للتغول الاستيطاني: مشهد من بيت دجن في ١٠ شباط ٢٠٢٣. (أ.ف.ب)

وبحسب تقييم معهد دراسات الأمن القومي فإن التمحور بإدارة الصراع بدل السعي للتوصل لتسوية يؤدي إلى الدفع نحو واقع الدولة الواحدة بين النهر والبحر وهو ما يعني فعليًا نهاية المشروع الصهيوني للدولة اليهودية، وأن مواجهة ذلك تتم بالسعي للانفصال الجغرافي والديمغرافي وسد الطريق أمام توسع حماس في الضفة الغربية التي قد تنتهي بحسبها بالسيطرة على السلطة.[٣٢]

وتجمع التقارير الأمنية المختلفة على أن الوضع الأمني في الضفة الغربية يشهد غليانًا متصاعدًا قد يتحول لانتفاضة ثالثة بفعل ضعف السلطة الفلسطينية وبروز فصائل ميدانية، وإن كان الوضع الميداني لا يزال تحت السيطرة بفعل النشاط الدؤوب لجيش الاحتلال والمخابرات العامة "الشاباك"، إلا أنه ليس مضمونًا إلى أمد بعيد في ظل التدهور المستمر في مكانة السلطة الفلسطينية وإمكانياتها وانعدام أفق سياسي.

من جهة أخرى، فإن التقديرات التي أوردها الجيش الإسرائيلي، التي تؤسس موقفها على الذهنية العسكرية البحتة والوضع العسكري العيني بعيدًا عن الرؤيا السياسية، تقدم صورة مماثلة لما ورد في السنوات الماضية، بأن القضية الإسرائيلية – الفلسطينية "قابلة للإدارة" وليست "قابلة للحل".

تلحظ التقارير الإستراتيجية بأن استمرار ضعف السلطة الفلسطينية قد يؤدي بها إلى وضع تفقد فيه قدرتها على العمل، مما يؤدي، في ظل الإحباط لدى الجيل الشاب في الضفة الغربية، إلى تشجيع

الاتجاه في التفكير نحو بديل الدولة الواحدة.

وتجمع التقارير الأمنية، على أن وضع السلطة الفلسطينية سيئ، ويتوقع أن يسوء أكثر. وأن المعركة على خلافة الرئيس محمود عباس، قد بدأت عمليًا، وأن تأثير إسرائيل على الأحداث في السلطة الفلسطينية، وكذلك الردع العسكري الذي تسعى إسرائيل إلى ترسيخه، محدود.[٣٣]

لا احتمال لعملية سياسية بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل في الفترة القريبة المقبلة، إلى جانب اهتمام باهت تبديه الولايات المتحدة ودول أوروبية حول الشأن الفلسطيني. وفي هذه الظروف، لا غرابة في الارتفاع المتواصل لتأييد حل الدولة الواحدة، الذي أصبح مطروحًا بوضوح لدى أوساط فلسطينية مختلفة.

٤,١ النضال الفلسطيني في الضفة الغربية وتحدي المؤسسة الأمنية

تشهد الضفة المحتلة خلال العام الحالي موجة انتفاضية من نوع جديد مختلفة عما شهدته في الأعوام الماضية من هبات وموجات أخذت أسماء انتفاضات السكاكين، ومسيرات العودة، وإضرابات الأسرى، ومقاومة الاحتلال.

وفق المعطيات الإسرائيلية سجلت الأحداث الميدانية ارتفاعًا ضخمًا خلال ٢٠٢٢، وبحسب معطيات الجيش الإسرائيلي فقد سجلت خلال العام ٢٨٥ عملية إطلاق نار في الضفة الغربية مقارنة بـ ٦١ سجلت في ٢٠٢١ و١٩ في ٢٠١٩ وسجلت ٧,٥٨٩ حادثة إلقاء حجارة مقارنة بـ ٣٨٠٥ في ٢٠١٩ كما سجلت ١٢٦٨ عملية إلقاء زجاجة حارقة مقارنة بـ ١٠٢٢ في ٢٠٢١ وسقط ٣١ قتيلًا إسرائيليًا،[٣٤] بينما ارتقى وفق وزارة الصحة الفلسطينية ٢٢٤ شهيدًا، من بينهم ٥٣ في قطاع غزة.[٣٥]

إن الرد الفلسطيني بانتفاضة من نوع جديد يثبت مرة أخرى عدم إمكانية كيّ الوعي الفلسطيني. ولعل ما يقلق المؤسسة الأمنية الإسرائيلية، أنه على الرغم من هيمنة السلطة الفلسطينية على الحياة الأمنية، الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في الضفة الغربية تصاعد الرفض الشعبي وعدم الرضا عن أداء السلطة السياسي، وهو ما يشير إلى اتساع الصدع واختلاف المصالح بين ما تريده السلطة الفلسطينية ومصالح شرائح شعبية واسعة. من الصعب التنبؤ بمسار النضال الفلسطيني في الضفة الغربية المحتلة والذي يبقى مفتوحًا على كافة الاحتمالات. من الناحية النظرية، يتبنى الرئيس عباس المقاومة الشعبية السلمية ضد الاحتلال في الضفة الغربية. لكن من الناحية العملية، لا تزال السلطة مترددة في تفعيل هذا الخيار على نطاق واسع ولا تفضّله وذلك لسببين أساسيين: أولًا: تتخوف السلطة في حال دعمها للنضال الشعبي السلمي من أن تخرج الاحتجاجات عن سيطرتها وأن تتحول بالتالي إلى انتفاضة مسلحة يمكن أن تهدد أركان السلطة. ثانيًا: لا توجد ثقة في القيادة الفلسطينية ونواياها، وبالتالي لن تستطيع حشد الفلسطينيين خلف نضال شعبي جماهيري واسع.

غارة على مواقع في غزة في ٢٧ كانون الثاني ٢٠٢٣. (أ.ف.ب)

منذ ظهور مجموعة "عرين الأسود" الفلسطينية في عرضٍ عسكريّ مطلع أيلول ٢٠٢٢ في البلدة القديمة بنابلس، تنظر المؤسسة الأمنية الإسرائيلية إليها كظاهرة جديدة في الضفة الغربية، من حيث العمل المنظم، والسرية، وعدم الانتماء لفصيل سياسي بعينه، على الرغم من شنها عمليات عسكرية محدودة شمالي الضفة الغربية المحتلة، في محاولات مكثفة للقضاء عليها قبل أن تتوسع أنشطتها. ترى التقارير الأمنية بمجموعة "عرين الأسود" مؤشرًا لإسرائيل بأنها لن تكون قادرة على "احتواء" الأراضي الفلسطينية إلى الأبد، وكذلك تعبيرًا آخر عن تراكم ضعف السلطة الفلسطينية.[٣٦]

٤,٢ التقديرات الأمنية للمشهد الأمني في قطاع غزة

وفق التقديرات الإستراتيجية، فإن حركة حماس ستبقى القوة المسيطرة في قطاع غزة ولا ضرورة لتفكيكها أو السيطرة العسكرية على القطاع، ما دامت مردوعة، وما دام بقاؤها يساهم في ترسخ الانقسام الفلسطيني. وتشير التقديرات إلى أن حركة حماس غير معنية بحرب جديدة مع إسرائيل. كما تُجمع على عدم حدوث تغيير ملموس بقدرات حماس القتالية منذ الحرب على غزة العام ٢٠١٤، إنما لا يمكن التوصّل إلى ردع كامل كون التنظيمات المسلحة قادرة على الحصول على سلاح تقليدي.

في العام ٢٠٢٢، واصلت الحكومة الإسرائيلية الجهود لصياغة التحركات بروح "الاقتصاد مقابل الأمن"، بمشاركة مصر وعناصر دولية وإقليمية، والسلطة الفلسطينية. يتوقف الهدوء على حل قضية الأسرى والجنود المفقودين وبعض التخفيف من القيود المفروضة على القطاع.

٤,٣ عملية "مطلع الفجر"

شن الجيش الإسرائيلي حملة "مطلع الفجر" العسكرية ضد حركة الجهاد الإسلامي الفلسطيني في قطاع غزة استمرت ثلاثة أيام (٥–٧ آب ٢٠٢٢). وفقاً التقديرات الإسرائيلية، أن جديد هذه الحملة على صعيد الأداء العسكري الإسرائيلي، تصنيفها كعملية عسكرية استباقية تهدف إلى الردع، وليست ردة فعل على عمليات تعرضت لها إسرائيل، مثلما كانت الحال حتى الآن في معظم الحروب والحملات العسكرية التي قامت بها إسرائيل، بما في ذلك تلك التي استهدفت قطاع غزة. وأيضًا، تحييد حركة حماس ومحاولة دق إسفين بينها وبين حركة الجهاد. وبحسب القراءات الإسرائيلية بقيت حماس خارج المعركة، كما استُبعدت من اتصالات وقف إطلاق النار، التي جرت بوساطة مصرية، الأمر الذي شكّل تحديًا لصورتها كقائدة لفصائل المقاومة.

اعتبرت إسرائيل أن عملية "مطلع الفجر" حققت ثلاثة أهداف مركزية بعدوانها على غزة، وهي "إزالة التهديد المباشر من غزة، والحفاظ على الحرية العملياتية على جميع الجبهات، بالإضافة إلى تعزيز الردع مع إيصال رسالة واضحة لأعدائنا، وهي أن إسرائيل مصممة على حماية سيادتها ومواطنيها".

باعتقادنا، شكّلت هذه العملية محاولة لضرب فكرة وحدة الساحات الفلسطينية، خاصة في ظل ردود أفعال فلسطينية قوية آنذاك في الضفة الغربية بما فيها القدس وفلسطينيي الـ ٤٨، وفلسطينيي الشتات التي ظهرت في معركة سيف القدس في أيار ٢٠٢١.

خلاصة القول، ان إسرائيل تقترب بخطوات كبيرة جدًا نحو "المعضلة الإستراتيجية"، في ظل تنامي روح المقاومة في الضفة الغربية. وستستمر إسرائيل في السعي لتعميق الانقسام الفلسطيني، وإدارة الصراع بالحفاظ على الوضع القائم مقابل السلطة الفلسطينية، والسعي لبقاء حماس ضعيفة، بما يمكن من إرجاء مواجهة في قطاع غزة قدر الإمكان.

تقترب إسرائيل بخطوات كبيرة جدًا نحو "المعضلة الإستراتيجية"، في ظل تنامي روح المقاومة في الضفة الغربية. وستستمر إسرائيل في السعي لتعميق الانقسام الفلسطيني، وإدارة الصراع بالحفاظ على الوضع القائم مقابل السلطة الفلسطينية، والسعي لبقاء حماس ضعيفة، بما يمكن من إرجاء مواجهة في قطاع غزة قدر الإمكان.

إجمال

بشكل عام، ترى إسرائيل أن التهديدات الأمنية الحقيقية هي التي ترتبط بالمستوى الإستراتيجي وليس الآني، والتي تتمثل في التخوف من الانزلاق إلى الدولة الواحدة، وتحقيق إيران توازن الرعب النووي، إضافة إلى الآثار المترتبة على العلاقات الإسرائيلية مع الدول العظمى في ظل التوترات التي تتصاعد بين الولايات المتحدة والصين، ناهيك عن حالة عدم الاستقرار التي ترتبط بالحرب الأوكرانية وتأثيرات ذلك الدولية والإقليمية.

في ما يتعلق بالملف الفلسطيني، فإنه لا يبدو أن إسرائيل تسعى إلى الاستجابة إلى التهديد الذي وصفته بـ "خطر الوصول إلى واقع دولة واحدة"، وإنما تتبع سياسة ترحيل علاج الأزمة إلى المستقبل، بسبب تشخيصها للمرحلة على أنها مرحلة سانحة لتعزيز الاستيطان، وتهويد أكبر مساحات ممكنة من أراضي الضفة الغربية والقدس. أما في ما يتعلق بالملف النووي الإيراني، فإن إسرائيل مستمرة في اتباع سياستين متلازمتين: من جهة، الضغط على المجتمع الدولي، والولايات المتحدة الأميركية للوصول إلى مخرجات من المفاوضات النووية تكون مرضية بالنسبة لإسرائيل، ومن جهة ثانية تستمر في استخدام الخيار العسكري تجاه إيران سواء من خلال التهديد بضربة عسكرية واسعة أو من خلال التنفيذ الفعلي لضربات عينية مثل اغتيالات أو قصف قوافل أسلحة إيرانية داخل سورية أو العراق، فضلاً عما ينسب إليها من ضربات تم تنفيذها داخل إيران نفسها.

الهوامش

1 Manuel Trajtenberg and Dror Shalom, "Strategic Overview of Israel's National Security in 2022: A Time for Critical Decisions" *Strategic Survey for Israel 2022* (Tel Aviv: INSS, 2023), 27-.

Yochai Guiski, "The Biden Administration's National Security Strategy: Focus on China and Technology", INSS, Special Publication, December 7, 2022.

٢ يوأف ليمور، "انكشفت تقديرات "أمان" لعام ٢٠٢٣"، موقع صحيفة يسرائيل هيوم، ٢٠٢٢/١٢/٢٥. انظر/ي الرابط:
https://www.israelhayom.co.il/news/defense/article/13487150 (اخر مشاهدة ٢٠٢٣/١/١٣)

3 Yochai Guiski, "The Biden …".

4 Udi Dekel and Carmit Valensi and Orna Mizrahi, "The Northern Arena: The Need to Revitalize Israeli Policy", *The Survey Strategic for Israel 2022* (Tel Aviv: INSS, 2023), 28-33.

5 Fahd Al-Masri, "Is regional peace with Israel possible? Syrian point of view", *Strategic Assessment*, Special Publication, July 11, 2022. https://www.inss.org.il/publication/israel-syria-peace/

6 Udi Dekel and Carmit Valensi and Orna Mizrahi, "The Northern Arena: The Need to Revitalize Israeli Policy" *Strategic Survey for Israel 2022* (Tel Aviv: INSS, 2023), 34-41.

7 Sophie Kobzantsev and Zvi Magen, "The Ramifications of the Russia-Ukraine War", Strategic Assessment, Vol. 25, No. 2, July 2022.

Dekel and Valensi, and Orna Mizrahi, "The Northern Arena…".

8 Sima Shine and Raz Zimmt, and Ephraim Asculai, "Iran: Toward a Nuclear Crisis or a Nuclear Threshold" *Strategic Survey for Israel 2022* (Tel Aviv: INSS, 2023), 28-33.

٩ أهارون حاليفا، تصريحات رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية ("أمان")، لموقع صحيفة يسرائيل هيوم، ٢٠٢٢/١١/٢٢.

https://www.israelhayom.co.il/news/world-news/middle-east/article/13337824;Raz Zimmt, "Mounting, Political and Civil Repression in Iran", Insight, No. 1620, July 19, 2022; Raz Zimmt, Three Months of Protest in Iran: A Revolutionary Situation, Sans Revolution", INSS Insight No. 1674, December 28, 2022.

10 Seth Frantzman, From Lebanon to Turkey: Israel's East Med policy in spotlight", The Jerusalem Post, October 27, 2022. https://www.jpost.com/middle-east/article-72078 (Last seen 15/1/2023)

Gallia Lindenstrauss and Remi Daniel, "Normalization between Turkey and Israel: Will it Last?",*Insight*, No. 1637, August 28, 2022. https://www.inss.org.il/publication/turkey-israel-normalization/ (Last seen 1/2/2023)

Udi Dekel and Noy Shalev, "On the Course toward a Jewish-Palestinian One-State Reality" Special Publication, November 10, 2022.

Manuel Trajtenberg and Dror Shalom, "*Strategic Overview of Israel's National Security in 2022*: A Time for Critical Decisions" Strategic Survey for Israel 2022 (Tel Aviv: INSS, 2023), 28-33.

١٢ جدعون كوتس، "تقرير الوكالة الدولية للطاقة الذرية: إيران تحولت عمليًا إلى دولة عتبة نووية"- الموقع الإلكتروني لصحيفة معاريف، ٢٠٢٢/٩/٩.
https://www.maariv.co.il/news/world/Article-94436. (آخر مشاهدة ٢٠٢٣/١/١٣)

Sima Shine and Raz Zimmt, and Ephraim Asculai, "Iran: Toward a Nuclear Crisis or a Nuclear Threshold" Strategic Survey for Israel 2022 (Tel Aviv: INSS, 2023), 28-33.

13 Shavit and Shine, "Difficulties in the Negotiations…".

14 Sima Shine and Eldad Shavit. "Stalemate in Talks with Iran on a Return to the Nuclear Agreement", Insight, No. 1588. April 13, 2022. https://www.inss.org.il/publication/jcpoa-deadlock/ (Last seen 1/2/2023)

15 Tamir Hayman and Sima Shine, "Tehran Heightens the Pressure as it Strives to Thwart a Regional Air Defense System", *Insight*, No. 1621, July 20, 2022. https://www.inss.org.il/publication/defense-alliance/ (Last seen 1/2/2023)

16 Dekel and Valensi and Mizrahi, "The Northern Arena…".

١٧ اساف روزينتسفايغ، " التنديد لإسرائيل، دعم رويا في الحرب – والإرباك الذي تسبب به أردوغان لبوتين"، الموقف الإخباري N12 ، ٢٠٢٢/٧/٢٠.
https://www.mako.co.il/news-world/2022_q3/Article-de9c86b597a1281026.htm (آخر مشاهدة ٢٠٢٣/١/١٣)

18 Zimmt and Lindenstrauss and Feldman, and Mil-Man," The Iranian-Russian-Turkish Summit…".

19 Raz Zimmt, Gallia Lindenstrauss, Bat Chen Feldman, and Arkady Mil-Man, "The Iranian-Russian-Turkish Summit in Tehran", *Insight*, 1623, July 26, 2022. https://www.inss.org.il/publication/iran-russia-turkey/ (Last seen 1/2/2023)

20 Yogev Elbaz, "Here to Stay: Iranian Involvement in Syria 20112021-, *Strategic Assessment*, Vol. 24, No. 4, November 2021.

٢١ ووفقًا لمدير المعهد الإسرائيلي "ميتفيم" المتخصص بالسياسات الخارجية للشرق الأوسط، نمرود غورن، فإن إسرائيل في دوامة بين الرغبة في الحفاظ على علاقات جيدة مع روسيا وضرورة مراعاة المصالح الأميركية.

22 Anna Borshchevskaya, "The Evolution of Russian Strategy toward Israel: From Non-Recognition to Pragmatic Engagement", *Strategic Assessment*, Vol. 25, No. 1, March 2022.

23 Orna Mizrahi and Yoram Schweitzer, "Hezbollah's Restrained Aggression", *Insight*, No. 1509, August 18, 2021. https://www.inss.org.il/publication/hezbollah-aggression/ (Last seen 1/2/2023)

Udi Dekel, "Hezbollah Challenges Israel: Time to Rethink the Policy of Restraint", Insight, No. 1616, July 11, 2022. https://www.inss.org.il/publication/hezbollah-drones/ (Last seen 1/2/2023)

Eilam. Ehud, "Brothers in Arms: Would Hizballah and Hamas Join Iran in a War Against Israel?", BESA *Center Perspectives*, Paper No. 211. October 23, 2022.

24 Dekel, "Hezbollah Challenges Israel …".

Dekel and Valensi and Mizrahi, "The Northern Arena ...".

٢٥ يوآف زيتون، الجيش الإسرائيلي أسقط مسيرات لحزب الله في طريقها إلى حقول الغاز، موقع واينت الإخباري، ٢/٧/ ٢٠٢٢. https://www.ynet.co.il/news/article/h1s6zga95 (اخر مشاهدة ١٣/١/٢٠٢٣)

٢٦ يوآف هاريس، إسرائيل- لبنان: خلاف أم تسوية؟، همطعان، ٢١٢ (حزيران ٢٠١٩).

https://bit.ly/3SarHnH (آخر مشاهدة ١٣/١/٢٠٢٣)

27 Orna Mizrahi, "The Agreement with Lebanon: The Benefits Outweigh the Drawbacks", *Insight*, No. 1652, October 25, 2022. https://www.inss.org.il/publication/israel-lebanon-agreement/ (Last seen 1/2/2023)

٢٨ باراك رافيد، "أكثر من كونه اتفاقًا اقتصاديًا، الاتفاق مع لبنان هو قبل كل شيء سابقة سياسية وأمنية"، موقع واللا، ١٢/١٠/ ٢٠٢٢.

https://news.walla.co.il/item/3534667 (آخر مشاهدة ١٣/١/٢٠٢٣)

29 Mizrahi. The Agreement with Lebanon …".

30 Mizrahi, "The Agreement with Lebanon …".

٣١ أودي دك لعنات كورتس ونوعا شوسترمان، ٢٠٢٣، الساحة الفلسطينية " تقييم إستراتيجي لإسرائيل ٢٠٢٢، معهد الامن القومي: https://www.inss.org.il/he/publication/palestinian-arena-2023/ (آخر مشاهدة ٣١/١/٢٠٢٣)

٣٢ مصدر سابق.

33 Udi Dekel, Noa Shusterman, "The Day after Abbas": Strategic Implications for Israel", *Memorandum*, 225, December 2022. https://www.inss.org.il/publication/the-day-after-abu-mazen/ (Last seen 1/2/2023)

Orit Perlov and Udi Dekel, "Chaos in the Palestinian Authority: From Counter-Terrorism to Reconstruction", *Insight*, No. 1643, September 18, 2022. https://www.inss.org.il/publication/palestinian-chaos/ (Last seen 1/2/2023)

34 https://news.walla.co.il/item/3548679

٣٥ وزارة الصحة الفلسطينية ، التقرير السنوي- اعتداءات الاحتلال الإسرائيلي خلال العام ٢٠٢٢: https://cutt.us/BDYGI.

36 Udi Dekel, "The Lion's Den: A Wake-Up Call for Imminent Challenges", Insight, No. 1651, October 19, 2022. https://www.inss.org.il/publication/lions-den/ (Last seen 1/2/2023)

Yohanan Tzoreff, "Lions, Brigades, and the Challenges Ahead", *Insight*, No. 1658, November 14, 2022. https://www.inss.org.il/publication/palestinian-challenges/ (Last seen 1/2/2023)

Kobi Michael and Ori Wertman, "The Unavoidable Campaign to Destroy the Jenin Terrorist Hub" Insight, No. 1606, June 1, 2022. https://www.inss.org.il/publication/jenin/ (Last seen 1/2/2023)